# السياحة سنة الله في الكون

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# السياحة سنة الله في الكون

يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الملك : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ .

وهذه نعمة عظيمة أن خلق الله الأرض مذللة للإنسان يمشي في نواحيها بيسر وسهولة، فهي مخزن للرزق ، فعلى الزارع أن يضع البذرة ويتوكل على الله وعلى التاجر أن يضرب في الأرض ويتوكل على الله ، وهذا رسول الله ﷺ يقول : « **لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانًا** » وهو مروي عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

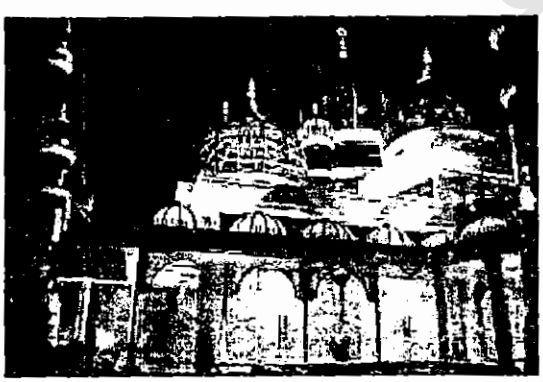

السياحة سير في نواحي الأرض لأغراض كثيرة : السعي على الرزق وثانيها تحصيل العلم وثالثها الترويح وتجديد الفكر ، ورابعها النظر والاعتبار وقد ذكر الله سبحانه في كتابه كل هذه الأشكال وأمر بها ـ وأمر الناس أن يخرجوا في طلبها ، وأولها السياحة لتحصيل الرزق ، وهذه مذكورة : في الآية الكريمة التي ذكرناها الآن : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ سواء بالزراعة أو بالصناعة أو التجارة ، وما كانت رحلة الشتاء والصيف إلا نوعًا من السياحة

في طلب الرزق .

قوله تعالى : ﴿ لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾ .

وقد ذكر الله سبحانه لفظ السياحة في القرآن الكريم في سورة براءة حيث قال : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ١ ، ٢] .

قال الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم فيه ثلاث مسائل الأولى : ﴿ فَسِيحُوا ﴾ رجع من الخبر إلى الخطاب، أي وقل لهم: سيحوا أي : سيروا في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين في حرب ولا سلم ولا قتل ولا أسر .

يقال : ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسياح ومنه السبح في الماء الجاري المنبسط ومنه قول طرفة بن لعبد .

لو خفت هذا منك ما نلتني  حتى ترى خيلاً أمامي تسبح

وأما السياحة في طلب العلم فقد أمر الله به المسلمين في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢] .

قال الإمام القرطبي في تفسيره ما حاصله هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم، لأن المعنى وما كان المؤمنون لينفروا كافة، والنبي ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده فلولا نفر بعد أن علموا أن النفير لا يسع جميعهم : ﴿ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾ وتبقى بقيته مع النبي ﷺ ليتحملوا عنه الدين ويفقهوا فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموا، وفي هذا إيجاب الفقه في الكتاب والسنة وأنه فرض كفاية لا فرض عين، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ فدخل في هذا من لا يعلم

الكتاب والسنة ثم قال بعد ذلك .

**الرابعة** : قوله تعالى: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا ﴾ الضمير عائد في ليتفقهوا أو لينذروا للمقيمين مع النبي ﷺ قاله قتادة ومجاهد : وقال الحسن : هما للفرقة النافرة، واختاره الطبري ، ومعنى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أي : ينظروا ويتفقهوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا أقوامهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد يعلموهم ويأمروهم بالدخول في الإسلام.

هذا وقد بسط القرطبي الحديث في هذا الباب، ونحن نوجز في كلمات تناسب المقام الذي نحن بصدده في سياحة العلم أو السياحة في طلب العلم. ورسول الله ﷺ خرج للجهاد في أغلب الغزوات، وكان الصحابة يسيرون معه للجهاد وطلب العلم وإذا لم يخرج للجهاد مثل غزوة مؤتة مكث معه مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم ليتفقهوا في الدين وينذروا أقوامهم.

والأحاديث في السياحة في طلب العلم كثيرة ومنها قوله ﷺ : « **إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع** » أو « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة** » وقوله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » وهذا الحديث مرويّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ وقد سمعنا كثيرًا عن الصحابة بعد رسول الله ﷺ كان أحدهم يمشي على قدميه من المدينة إلى دمشق أو إلى البصرة من أجل حديث له ﷺ ، يصححه على صحابي مقيم بها.

وسمعنا اطلبوا العلم ولو بالصين، وعن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: « **لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » ، وهذه الرحلات والمنح الدراسية إلى الجامعات المختلفة في بلدان العالم المتقدم علميًا ، ويقولون: إن فلانًا حصل على الدكتوراة من جامعة السوربون، أو فلانًا زميل كلية الجراحين،

في بريطانيا أو من جامعات أمريكا ، كل هذه رحلات سياحية في طلب العلم وهي أفضل أنواع السياحة على لإطلاق .

وهذا وقد روى أصحاب الحديث والسير أن رسول الله ﷺ عندما خرج في غزوة تبوك مر على مدائن صالح، ونزل الصحابة إلى البئر التي كانت تشرب منها الناقة، وأخذوا الماء وعجنوا العجين منها ، فنهاهم رسول الله ﷺ وأمرهم أن يطرحوا العجين، قال صاحب زاد المعاد [1] بلغني عن الزهري أنه قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر جعل ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال : « **لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم، إلا وأنتم باكون خوفًا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم** » .

وفي صحيح البخاري أنهم أمرهم بإلقاء العجين وطرحه ، وفي صحيح مسلم : أنه أمرهم أن يعلفوا الإبل انعجين ويستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة ، وقد رواه البخاري أيضًا ، وقد حفظ ما لم يحفظه من روى الطرح ، وذكر البيهقي أن رسول الله ﷺ نادى فيهم : الصلاة جامعة ، فلما اجتمعوا قال : « **علام تدخلون على قوم غضب الله عليهم** »، فناداه رجل فقال: نعجب منهم يا رسول الله ، فقال : « **ألا أنبئكم بما هو أعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم ، استقيموا وسددوا فإن الله عز وجل لا يعبأ بعذابكم شيئًا وسيأتي الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا** » وهذه الدروس من العلوم التي تعلمها الصحابة في السفر والغزو مع رسول الله ﷺ ، وهو الذي يقول : « **الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أين وجدها** » .

●● ●● ●●

(١) ابن قيم الجورية .